الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ٧: ١)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيُر فيما بينَهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينِهم واعتزِلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسُّوا نَجِساً* فأقبلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنينَ وبناتٍ يقول الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إنْ أحببتُم الذينَ يحبُّونَكم فأيَّةُ

القدّيس رومانوس واللّيتورجيا

تتميّز النصوص الليتورجيّة في كنيستنا المقدّسة بثلاثة عناصر: الحدث الكتابيّ، المعنى اللاهوتيّ والتضرّع أو التمجيد. في عيد معيّن يُدخلنا ناظم التسابيح، أي الذي يضع النصّ الليتورجيّ، في الحدث الكتابيّ من خلال إعادة صياغة النصّ الكتابيّ المذكور، كعيد ميلاد ربّنا يسوع المسيح مثلًا. يضيف أيضًا معاني الحدث الخلاصي اللاهوتيّة بأسلوبٍ معيّن، شعريّ أو نثريّ. كلّ ذلك يكون مصوغًا بشكل تضرّع إلى الربّ أو إلى قدّيسيه أو تمجيد للربّ.

توضيحًا لما أوردناه، سنأخذ عيد بشارة والدة الإله كمَثَل، من خلال القطعة التي نرتّلها في آخر صلاة سحر العيد: «اليوم ينكشف السرّ الذي قبل الدهور، وابن الله يصير ابن البشر، لكي إنّه باتّخاذه الأدنى يهبني الأفضل. لقد خاب آدم قديمًا فلم يصر إلهًا كما كان قد اشتهى. فصار الإله إنسانًا، لكي يصيّر آدم إلهًا. فلتبتهج إذًا الخليقة وتتباشر الطبيعة، لأنّ رئيس الملائكة انتصب لدى العذراء باحتشام، وقدّم لها الفرح بدل الحزن. فيا إلهنا الذي بتحنّن مراحمك تأنّستَ المجد لك». يذكر ناظم التسابيح، واسمه ثاوفانيس، في هذه القطعة حدث تجسّد الربّ في أحشاء العذراء: «وابن الله يصير ابن البشر»؛ وينقل لنا أيضًا المعنى اللاهوتيّ والغاية منه: «فصار الإله إنسانًا، لكي يصيّر آدم إلهًا»؛ ويختم القطعة بتمجيد للابن المتجسّد: «فيا إلهنا الذي بتحنّن مراحمك تأنّست المجد لك».

العدد ٤٠ / ٢٠١٧

الأحد ١ تشرين الأول

تذكار الرسول حنانيا

والبار رومانوس المرنّم

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

هذا ما نجده أيضًا في أشعار القدّيس رومانوس المرنّم الليتورجيّة. للتّذكير فإنّ القدّيس رومانوس (نعيّد له اليوم)، الذي عاش بين القرنين الخامس والسادس للميلاد، اشتهر بما يُعرف بـ «القنداق»، وهو نوع شعري يتألّف من مقدّمة (ما نسمّيه اليوم «القنداق»)، وقطع تُسمّى أبياتًا قد يصل عددها إلى ٢٤ بيتًا، تنتهي كلّها بالعبارة نفسها. إذا أخذنا مثلاً قنداق عيد الفصح المبارك، فإنّ القدّيس رومانوس يختمه بعبارة «يا مانح الواقعين القيام»، والتي تتكرّر في آخر كلّ بيت.

غير أنّ ما يميّز أشعار القدّيس

رومانوس هو إضافته عنصراً رابعاً يُسمّى بلغة المسرح «السيناريو». للوهلة الأولى يخيّل إلينا عند قراءة قناديقه أنّ القدّيس رومانوس يحاول أن ينقل لنا صورة شاملة عن الحدث الكتابيّ، لكن يتبيّن لنا أن الهدف منه هو نقل موقفٍ بشريّ أوّليّ لما حدث، أي ما قد يحصل في دواخل الإنسان من ردود فعل عندما يقرأ حدث الصلب مثلاً في الأناجيل، كلٌّ منّا حسب موقعه. فإذا كانت من تقرأ حادثة صلب الربّ يسوع أمًّا، فإنّها تتعاطف تلقائيًّا مع والدة الإله، وتحاول أن تتخيّل ما كان موقف والدة الإله على الصليب وهي تشاهد ابنها الوحيد يتألّم. لكنّ القدّيس رومانوس لا يتوقّف عند هذا الحدّ، لأنّ الهدف من النصّ الليتورجيّ هو رفع الإنسان المسيحيّ من الأرضيّات إلى السماويّات. إنّه ينقل لنا المعاني اللاهوتيّة من خلال الحوار الذي يضعه على لسان الأشخاص المذكورين في الحدث الكتابيّ. في حادثة الصلب مثلًا ينقل لنا ذلك على لسان الربّ يسوع ووالدته عن طريق حوار يتمّ بينهما، وينهي دائمًا قناديقه بصلاة أو تضرّع أو تمجيد. سنورد في ما يلي بعض المقاطع من قنداق «مريم عند الصليب».

«هلمّ جميعًا لنكرّم الذي صُلب من أجلنا، الذي رأته مريم على العود وقالت: حتّى ولو أسلمتَ ذاتك للصلب، إلاّ أنّك لم تزل ابني وإلهي» (المقدّمة).

«كالنعجة التي ترى حملها مساقًا إلى الذبح، كانت مريم تتبعه، معتصرةً ألمًا، مع النسوة الأخريات قائلةً: أين تذهب، يا بنيّ؟ لماذا قضيتَ مسرى حياتك سريعًا؟ ألعلّ عرسًا آخر ينتظرك في قانا، وأنت مسرعٌ لتوافيهم بالخمر بدلًا من الماء؟ أأذهب معك يا بنيّ، أم الأفضل أن أنتظر؟ قل كلمةً، أيّها الكلمة، لا تعبر من دون كلام، يا من حفظتني نقيّةً، يا ابني وإلهي» (البيت الأوّل).

«لقد سلكتَ إلى موتٍ ظالم، ولا أحد تقاسمك الألم، لم يرافقكَ بطرس القائل: لن أنكرك أبدًا، ولو دفعتُ حياتي. لقد تركك توما الذي هتف: لنذهب ونمُت معه. والآخرون أصدقاؤك الأعزّاء وأبناؤك، أولئك الذين سيدينون أسباط إسرائيل، أين هم الآن؟ ليس أحد منهم، أنت وحدك تموت عن الكلّ لأنّك المحسن إلى الكلّ، أنت ابني وإلهي» (البيت الثالث).

«لا تتمرمري يوم آلامي. لهذا اليوم بالذات، نزلتُ أنا الحلو من السماء كالمنّ، لا على جبل سيناء بل في حشاكِ، فيه تكوّنتُ، كما تنبّأ داود. حاولي أيّتها الملكة أن تفهمي الجبل المدغل (الكثيف الأشجار)، أنا هو، إذ كَوْني الكلمة اتّخذتُ منكِ جسدًا. وبهذا الجسد أتألّم، وبه أخلّص. لا تبكي إذًا، يا أمّي، بل بالأحرى اهتفي: طوعًا تألّم ابني وإلهي» (البيت السادس).

«حالما سمع تلك الكلمات العارفُ كلّ الأشياء قبل أن تحدث أجاب مريم قائلًا: قرّي عينًا، يا أمّي، ستكونين أوّل من يراني خارجًا من القبر؛ سأخبرك من أيّ شقاء انتشلتُ آدم وأيّ عذابات قاسيتُ لأجله، وسأعرض هذه العذابات للرفقة. سأريهم جراحات يديّ. وستبصرين حوّاءَ يا أمّي، ستبصرينها حيّة كما كانت وقتًا ما وستهتفين بفرح: لقد خلّص آبائي ابني وإلهي» (البيت ١٢).

«يا ابن العذراء وإلهها بارئ العالم، لك هو الألم، ولك عمق مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحسنتُم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُمُ الذينَ تَرْجونَ أن تستَوفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأةَ لكي يستوفوا منهم المِثْل* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤَمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غير الشاكرينَ والأشرار* فكونوا رُحَماء كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

«فلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلِّ أدناسِ الجسدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله».

هناك أشياء يجب الامتناع عنها وأشياء يجب عدم «الامتناع عنها». فقلت: «علّمني يا سيدي ما يجب وما لا يجب الامتناع عنه».

فقال: «إسمع. إمتنع عن الشرّ ولا تعمله، ولكن لا تمتنع عن الخير بل اعمله. لأنك لو امتنعتَ عن عمل الخير فأنتَ ترتكب خطيئةً عظيمة، وبالعكس إذا امتنعتَ عن عمل الشر فأنتَ تقوم بعملِ برٍّ عظيم فامتنع إذاً عن كل شرّ واصنع الخير».

فقلت: «يا سيدي، ما هي الرذائل التي يجب علينا الامتناع عنها؟». قال: «إسمع: الزنا، والفسق، والافراط من المسكرات والميوعة الآثمة، والولائم المتكرّرة، والترف المتأتي عن الغنى، والتظاهر والكبرياء والزهو والكذب والنميمة والرياء والحقد وكل الأقوال المسيئة.

هذه هي أسوأ الأعمال في حياة البشر، ويجب على خادم الرب أن يمتنع عنها، لأن الذي لا يمتنع عنها لا يمكنه أن يحيا لله. إليك الآن الرذائل المترتبة عليها: السرقة، الكذب، السلب، شهادة الزور، الجشع، الأهواء الرديئة، الخداع، المجد الباطل، التبجّح وكل ما شابه ذلك الحكمة. أنت تعرف ما كنتَ عليه وما صرت. بقبولك أن تتألّم، تعطّفتَ موافيًا لخلاص البشريّة، أنت كحمل أخذتَ على عاتقك ذنوبنا، وإذ أمتّها بتضحيتك، خلّصتَ الكلّ يا مخلّص. أنت أنت في وجوب الألم وفي عدم إمكانه، أنت أنت في الموت وفي الخلاص، لقد وهبتَ لأمّك الملكة الضمانةَ لتهتف بك: ابني وإلهي» (البيت الأخير).

عدل المحبة

«إن أحببتم الذين يحبّونكم فأيَّة منّةٍ لكم» (لو ٦: ٣٢). ليس غريباً أن نسمع هذا الكلام على لسان الرب يسوع. ليس المقصود هنا أن نضع حدوداً للمحبة بل أراد الله أن يعلّمنا كيف تكسر المحبّة كلّ القيود؟ «الله محبّة» وقد أراد أن يكون لنا مثالاً ليعلّمنا كيف نحب. المحبّة بالنسبة إلى الله مجانية لا تطلب شيئاً لذاتها. في المحبّة ما من مصلحة شخصيّة. بمحبته تخطى المسيح كلّ عدلٍ وبذل نفسه على الصليب من أجل الإنسان ليخلّصه من الخطيئة. هناك فرق شاسع بين المحبّة والعدل.

هناك الكثير من الظلم في حياتنا اليومية. يلاحظ الإنسان أن لا عدل في هذه الحياة. هناك أناسٌ أغنياء وآخرون قابعون في فقر مدقع. نرى أناساً يتحلّون بصحة جيّدة رغم تقدّمهم في السن وأطفالاً يعانون من أمراض خطرة وأحياناً يموتون فنتساءل أين العدل في هذه الحياة. نرى أشخاصاً مؤمنين يعيشون حياة صعبة ويقضون حياتهم متخبّطين ليؤمّنوا حياةً كريمة لعائلاتهم وآخرين يعيشون حياة بعيدةً عن الله ويتنعّمون في رخاء هذه الحياة الأرضيّة. كلّ هذا ليس عادلاً من منظار حياتنا الأرضيّة ونتساءل أين هو الله من كل ذلك.

أمّا الله فقد خلق العالم على أحسن حال وخلق الإنسان ليتنعّم في هذا العالم وقد أبى إلاّ أن يعطيه حريّة مطلقة. عرف الله أنّ هذه الحريّة قد تؤدّي إلى ابتعاد الإنسان عنه، وقد حدث ذلك وابتعد الإنسان عن الله الذي لم يتوقّف يوماً عن العناية بالكون، ورغم ذلك ما زال يعتني بنا، وهذا أيضاً ليس عدلاً بالنسبة للبشر. علّمنا الله أنّ مَن يأتي إليه في الساعة الأولى ينال البركة عينها التي ينالها من أتى في الساعة الأخيرة (متى ٢٠) وهذا من المنظار البشري أيضاً ليس عدلاً. كلّ ذلك لأنّ الله هو إله المحبّة، إله الرحمة.

نحن في هذا العالم كفي مسابقةٍ رياضيةٍ، شارك فيها شابٌّ وعجوزٌ وطفلٌ وإنسانٌ مقعد وكان عليهم خلال المسابقة أن يتسلقوا قمّة صغيرةً مكوّنة من الصخور. العدل هو أنّهم حصلوا على التحدّي ذاته ولكن لم يكن في المسابقة أيّ رحمة لأنهم ليسوا متساوين من حيث الإمكانات. هذه حالنا جميعاً، كلنا مدعوون بالتساوي إلى الخلاص، لذلك نحن بحاجة إلى رحمة الله. الله رحوم، والرحمة هي أساس عدله. ليس العدل أن تتساوى كل المعطيات في حياة البشر لأن ذلك مستحيل. العدل هو في إمكان نيل الجزاء نفسه. هنا ينقطع السجال والتساؤل عن كون الله عادلاً أو رحيماً.

لسنا أمام صفتين ممكن أن ننسبهما لله بل إن الله رحوم وهذا عدله. يعدل الله بالرحمة بين البشر ولكنّ الإنسان يرى بفكره الأرضي أنّ الله ليس عادلاً. العدالة عند الله هي أن تحب.

إن أحببنا محبّينا وأحسنّا إلى المحسنين إلينا فلسنا مختلفين عن الخطأة الذين يقومون بذلك أيضاً.

لذلك يعلّمنا الرب يسوع أن نحبّ أعداءنا وأن نحسن ونقرض غير آملين جزاءً وبذلك نكون «بني العليّ» ويضيف إلى ذلك «كونوا رحماء كما أنّ أباكم هو رحيم». إذاً علينا أن نتوق إلى الرحمة لا العدل. ألم يقل الرب يسوع على الصليب «إغفر لهم يا أبتاه»؟ هل من ظلم أكثر من أن يعلَّق الإنسان على الصليب؟ لو كان عادلاً لكان طلب إلى الآب «أن يهلكهم»، لكن رحمته تدفع نحو المغفرة. مقياس المحبة في المسيحية هي محبّة الأعداء. محبّة الأصدقاء سهلة وطبيعيّة أمّا محبّة العدو فصعبةٌ وتواجهها عراقيل كثيرة، لكنها تُبنى على الرحمة.

المحبّة هي سرّ الرحمة. إن أحببت فارحم. هكذا يتواصل الله مع العالم وهذا ما نرتجي في صلواتنا «لأنك إله رحيم ومحب للبشر...». الله عادلٌ كلّ حين ولكن لا نفضّلنّ الله حسب حاجاتنا بل علينا أن نرتقي إلى فكر الله. يجب ألاّ نيأس بل أن نفرح بأنّ الله عادلٌ برحمته. الرحمة الإلهية هي العدل للإنسان، ومحبّة الله لنا هي الرحمة بذاتها لأنّه أحبّنا رغم خطيئتنا.

النشرة عبر البريد الإلكتروني

نتمنى ممن يرغب بالحصول على نسخة من النشرة عبر البريد الإلكتروني أسبوعياً تزويدنا بعنوان بريده الإلكتروني e-mail بإرسال رسالة فارغة معنونة «النشرة» إلى quartos@outlook.com

مدرسة الموسيقى ومدرسة التنشئة اللاهوتية

تعلن مدرسة القديس رومانوس المرنّم للموسيقى الكنسيَّة ومدرسة التنشئة اللاهوتية في الأبرشية عن استمرار التسجيل للعام الدراسي ٢٠١٧–٢٠١٨على أن تبدأ الدروس مساء الإثنين ٢ تشرين الأول ٢٠١٧ في المركز الرعائي الشامل مقابل كنيسة القديس ديمتريوس .

للإستعلام وتسجيل الأسماء الرجاء الإتصال على الرقم ٠١/٢٠٣٩٢٤.

جوقة الأولاد

تُعلن جوقة الأولاد «Choeur d'enfants» التابعة لمكتب التربية المسيحية في أبرشية بيروت عن استمرار استقبال الأعضاء الجدد الذين يرغبون بالانضمام إليها من أجل تعلّم التراتيل والأناشيد الكنسية.

تبدأ التمارين يوم الجمعة ٦ تشرين الأول الساعة الخامسة في المركز الرعائي وتكون التمارين كل نهار جمعة بين ٥ و٦ مساءً.

للإستعلام الرجاء الاتصال بمكتب التربية المسيحية على الرقمين ٠١/٢٠٣٩٢٤ و٧٠/٠٨٧٨٩٠ بين الساعة ٥:٣٠ و٨:٣٠ مساءً أو بالأب كوارتس على الرقم: ٧٠/٧٠٥٤٧٣

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

من رذائل.

ألا ترى أن كل ذلك سيء؟ ــ فقلت: «سيء جداً لخدّام الرب». قال: «وعن كل ذلك يجب على خادم الرب أن يمتنع، فامتنع إذاً عن كل ذلك لكي تحيا لله وتُكتب مع الذين يمتنعون عنه. ذلك ما يجب عليك أن تمتنع عنه.

وإليك ما يجب عدم الامتناع عنه، وما يجب عمله، لا تمتنع عن الخير بل اعمله». فقلت: «أطلعني يا سيدي على قوّة أعمال البرّ حتى أسلك بموجبها وأخدمها لكي أخلص بممارستها». فقال: «إليك أعمال الخير التي يجب أن تفعلها وألاّ تتجنبّها.

أولاً الإيمان ومخافة الرب والمحبّة والوئام وكلمة البّر والحق والاستسلام. ليس هناك ما هو أفضل في الحياة البشرية، إذا مارسها أحد ولم يمتنع عنها فهو سعيد في حياته.

كتاب الراعي لهرماس